قال ابن هشام: قوله: «ابن الإراش» عن غير ابن إسحاق، والبيت الثالث عن خَلاَّد بن قُرَّةَ، ويقال: مالك بن رافلة عن غير ابن إسحاق.

كاهنة بني حدس تنذر قومها جيش رسول الله

قال ابن إسحاق: وقد كانت كاهنة من حَدَسٍ[1] ـ حين سمعت بجيش رَسُولِ اللّهِ ﷺ مُقْبِلاً ـ قد قالَتْ لقومها من حَدَس وَقَوْمُهَا بطنٌ يقال لهم بنو غَنْم: أُنْذِرُكُمْ قوماً خُزْراً[2]، ينظرون شَزْراً[3] ويقودون الخيلَ تَتْرا[4]، وَيُهَرِيقُونَ دَماً عَكْراً[5]، فأخذوا بقولها واعتزلوا من بين لَخْم، فلم تزل بَعْدُ أَثْرى حَدَس[6].

وَكَانَ الَّذِينَ صَلوا الحربَ يومئذ (٢٢٧/ب) بنو ثعلبة بَطْنٌ من حَدَس، فلم يزالوا قليلاً بعد، فلما انصرف خالد بالنَّاسِ أَقْبَلَ بِهِمْ قَافِلاً.

عودة الجيش إلى المدينة

قال ابن إسحاق: فحدَّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ حَوْلِ المدينة تَلَقَّاهُمْ رسولُ الله ﷺ والمسلمون، قال: ولقيهم الصبيان يَشْتَدُّونَ ورسولُ الله ﷺ مقبلٌ مع القوم على دابة، فقال: «خُذُوا الصِّبْيَانَ فَاحْمِلُوهُمْ وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْفَرٍ» فأتى بِعَبْدِ الله، فأخذه فحمله بين يديه، قال: وجعل الناس يَحْثُون على الجيش الترابَ ويقولون: يَا فُرَّار فَرَرْتُمْ في سبيل الله!! قال: فيقول رسول الله ﷺ: «لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ وَلَكِنَّهُمُ الكرَّارُ إن شَاءَ اللّهُ تعالى» [٩٠٣].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الله بن بكر، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض

= (٤/ ٣٨٨ ـ بتحقيقنا) وانظر البداية والنهاية (٤/ ٢٨٥).
وانظر الإصابة أيضاً ترجمة رقم (٧١٣٦ ـ بتحقيقنا).
[٩٠٣] أخرجه الطبري (٣/ ٤٢) في تاريخه، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٣٧٤) بسنده إلى ابن إسحاق به.
وذكره ابن كثير في البداية (٤/ ٢٨٩) وقال: هذا مرسل.

---

(١) حَدَسُ: قبيلةٌ من لَخْم، ولَخْمٌ: قبيلةٌ من اليمن.
(٢) الخُزْرُ: جَمْعُ أَخْزَرَ، وهو: الذي يَنْظُرُ بِمُؤَخَّر عينه نَظَرَ المُتَكَبِّر.
(٣) الشَّذْرُ: نَظَرُ العَدَاوَةِ.
(٤) يقودون الخيل تَتْرَى، أي: متتابعةً شيئاً بعد شيء، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾، ومن رواه: تَتْرا فهو مصدَرٌ من قولك تَتَر الشيء: إذا جَذَبَه.
(٥) العَكْرُ المُتَعَكِّرُ يُريد: دماً مُخْتَلِطاً.
(٦) فلم تَزَلْ بَعْدُ أَثْرَى، يريد: أَكْثَرَ مالاً وعدَداً من الثروة وهي الكَثْرةُ.

آل الحرث بن هشام ـ وهم أخواله ـ عن أم سلمة زَوْج النبي ﷺ، قال: قالت أُمُّ سَلَمَة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: مالي لا أرى سلمة يَحْضُر الصلاةَ مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالَتْ: واللّهِ ما يستطيع أَنْ يَخْرُجَ، كلما خَرَجَ صاح به الناس يا فُرَّارُ فَرَرْتُمْ في سبيل الله، حَتَّى قعد في بيته فما يخرج [٩٠٤].

كلمة لقيس بن المسحر في يوم مؤتة

قال ابن إسحاق: وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُخَاشاته بالناس وانصرافه بهم قَيْسُ بن المُسَحَّر اليَعْمُويُّ يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس [من الطويل]:

فَوَ اللّهِ لاَ تَنْفَكُّ نَفْسِي تَلُومُنِي ... عَلَى مَوْقِفِي وَالْخَيْلُ قَابِعَةٌ قُبْلُ[١]
وَقَفْتُ بِهَا لاَ مُسْتَجِيراً فَنَافِذاً ... وَلاَ مَانِعاً مَنْ كَانَ حُمَّ لَهُ الْقَتْلُ[٢]
عَلَى أَنَّنِي آسَيْتُ نَفْسِي بِخَالِدٍ ... أَلاَ خَالِدٌ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ[٣]
وَجَاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ مِنْ نَحْوِ جَعْفَرٍ ... بِمُؤْتَةَ إِذْ لاَ يَنْفَعُ النَّابِلَ النَّبْلُ[٤]
وَضَمَّ إِلَيْنَا حَجْزَتَيْهِمْ كِلَيْهِمَا ... مُهَاجِرَةً لاَ مُشْرِكُونَ وَلاَ عُزْلُ[٥]

فبيَّنَ قَيْسٌ ما اختلف فيه النَّاسُ من ذلك في شِعْرِهِ أنَّ القوم حاجزوا وكَرهوا الموتَ وحقَّق انحياز خالد بِمَنْ معه.

قال ابن هشام: فأما الزهري فقال ـ فيما بلغنا عنه ـ: أمَّر المسلمون عليهم خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ، فَفَتَحَ اللّهُ عليهم، وكان عليهم حتى قَفَلَ إلى النبي ﷺ.

---

[٩٠٤] أخرجه الطبري في تاريخه (٣/ ٤٢) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) بسنديهما إلى ابن إسحاق به، وفيه جهالة شيخ ابن عبد الله بن الزبير.

---

(١) قال الخشني: قَابِعَةٌ: من رواه بالهمز فمعناه واثبةٌ، يقال: قَأَعَ الفَحْلُ على الناقة: إذا وَثَبَ عليها، ومن رواه: قَانِعَةٌ بالنون فمعناه: رافِعَةٌ رءُوسها. ومن رواه قَابِعَةٌ بالباء فمعناه مُنْقَبِضَةٌ، وقُبْلٌ: جَمْعُ أَقْبَلَ وقَبْلاَءَ، وهو الذي يُمِيل عَيْنَهُ في النظر إلى جهة العَيْن الأُخرى، وقد يَفْعَلُ ذلك الخَيْلُ حِدَّةً ونشاطاً.

(٢) حُمَّ له القَتْلُ، أي: قُدِّرَ.

(٣) آسَيْتُ نفسي بخالِدٍ، أي: اقتَدَيْتُ به من الأُسْوة، وهو: القِدْوَةُ.

(٤) جاشَت، أي: ارتَفَعَت، النابلُ: صاحب النَّبْلِ.

(٥) حَجْزَتَيْهِم، يعني: ناحيَتِهِمْ، يقال: قَعَدَ حَجْزَةً أي: ناحيةً. وعُزْلٌ: جَمْعُ أَعْزَل وهو الذي لا سِلاح له. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٢٨٦).